البيت المرواني

الوليد الأول بن عبد الملك

٨٦_٩٦هـ / ٧٠٥_٧١٥م

obeikan.com

obeikandl.com

هو **الوليد بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، أشهر خلفاء بني أمية، وُلد الوليد بن عبد الملك في خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة (٥٠هـ = ٦٧٠م) في المدينة النبوية، حيث كان يقيم أبوه "عبد الملك بن مروان بن الحكم"، وكان أكبر أبنائه، وحين هاجر مروان بن الحكم إلى الشام كان الوليد معه ضمن أسرته، والمعروف أنه ترك المدينة في ربيع الآخر سنة (٦٤هـ = ديسمبر ٦٨٣م) بعد أن أعلن عبد الله بن الزبير الدعوة إلى نفسه بالخلافة [١].

شهد عصر الوليد بن عبد الملك أعظم حركة للفتوحات الإسلامية في الدولة الأموية؛ فبسط المسلمون أيديهم على أكبر بقعة من العالم القديم المعروف آنذاك، واتسعت دولتهم على نحو لم تشهده من قبل، وبرز في عهده عدد من القادة الأكفاء الذين اتسموا بالقدرة العسكرية والمهارة الحربية وعُرفوا بالشجاعة والتضحية، فقاموا بعبء هذه الفتوحات وأعادوا للأذهان ذكرى الفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين (انظر كتابنا الموسوم أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين).

ودأب الوليد على محاربة الدولة البيزنطية؛ لتأمين حدود دولته معها، وكان أخوه مسلمة بن عبد الملك بطل هذه الحروب، واشترك معه أبناء الخليفة الوليد في منازلة البيزنطيين وفتح حصونهم، وظلت الحملات تتوالى على بلاد الروم منذ سنة (٨٨هـ = ٧٠٦م)، ولا يكاد يخلو عام من حملة على الروم، واستعد الوليد لإرسال حملة برية وبحرية لغزو القسطنطينية، لكن المنية عاجلته قبل أن ينفذ هذا المشروع، فنهض به أخوه سليمان بن عبد الملك الذي ولي الخلافة من بعده [٢].

نجح الوليد في مدة خلافته التي لم تتجاوز عشر سنوات أن يقيم دولة عظيمة، وأن ينعم الناس في ظلها بالرخاء، وأن تنشط حركة العمران في مدن الدولة الأموية وفي عاصمتها دمشق وأنشأ الطرق؛ خاصة الطرق المؤدية إلى الحجاز والجزيرة واهتم بالعمران وبيوت الرعاية، ومن آثار الوليد الخالدة في العمارة الجامع الأموي بدمشق وكان يعد من عجائب الدنيا، ولا يزال حتى اليوم ناطقاً بحنكة الوليد ويعد من معالم الإسلام الخالدة عبر العصور، ومن آثاره عمارة المسجد النبوي، والمسجد الأقصى الذي بدأ به والده ثم أكمله في عهده ومن المحاسن التي تميزت في خلافته العدل بين الرعية، وتوحيد المسلمين وبناء الدولة بكل عظمتها.

وشاع بناء المستشفيات في العصر الأموي حتى أصبح في الكثير من المدن الإسلامية. ولم يكن المغرب الإسلامي بمنأى عن المشرق ببناء المستشفيات، إذ كان في قرطبة أيام الدولة الأموية ٥٠ مشفى. وازدهرت الثقافة وحلقات العلم في المساجد الكبرى، حتى صارت دولته أقوى دولة في العالم آنذاك، ولم تطل به الحياة فتوفي في (منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ = ٢٥ من فبراير ٧١٥م).

١، ٢ - أحمد تمام، الوليد بن عبد الملك، العصر الذهبي للدولة الأموية، موقع إسلام أون لاين.

سياسة الوليد بن عبد الملك الخارجية

أولاً : فتوحات الجبهة الشرقية

فتح بلاد ما وراء النهر

مـا وراء النهـر، لفـظ استخدمه المؤرخون، والجغرافيون المسلمـون، للتعبير عن المنطقة المحصورة بين نهـري جيحون في الجنوب وسيحون في الشمـال. وتقع هذه المنطقة في الشمال الشرقي من حدود الدولة القديمة وسكانها من **العنصر التركي**.

قامت في هذه المنطقة. المشار إليها، عدة ممالك مستقلة بعضها عن بعض أهمها :

- مملكة **طخارستان**، وتقع على ضفتي نهر جيحون وعاصمتها مدينة **بلخ**.
- مملكة **الختل** وقصبتها **هُلْبُك**، وهي أول إمارة وراء نهر جيحون.
- مملكة **صغانيان** وقصبتها **صغنيان**.
- مملكة **الصغد** وقصبتها **سمرقند**.
- مملكة **خوارزم** وقصبتها **الجرجانية**.

كان الوضـع السياسـي لهذه الممالك مزعزعـاً بفعل النزاعات الدائمة التي كانـت تنشب بينها مما شكل خطـراً على المسلمين الذين تاخمت حدودبلادهم في خراسـان حدود هذه المماليك، مما يجعلهم يفكرون فـي وضع حد لهـذه الفوضى في هذه البلادبضمها إلى الدولة الإسلاميـة ونشر الإسلام فيها وإخضاعها للنظام قبل أن يستفحل خطرها. وبالرغم من النزاعات الداخلية فيها إلا أن شعوبها يمكن أن تتحالف إذا شعرت بوجود خطر خارجي عليها.

كانت العمليات العسكرية في وسط آسيا على جانب كبير من الأهمية وتتم بنجاح في بلاد ما وراء النهر، حيث حقق القائد المسلم **قتيبة بن مسلم الباهلي** حاكم **خراسان**، السيطرة الأموية على البلاد وتمكن مـن إثبات جدارته بالإمارة والقيادة، بحيث اعتبر من أشهر وأنجح القادة العسكريين، وسانده حاكم قوي هـو الحجـاج بن يوسف الثقفـي، وكانت أوضاع دولة الخلافـة الأموية قد استقـرت، فاجتمعت له شجاعة القائد، وعزم الوالي وتصميمه، وقوة الدولة واستقرارها[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

١ طَخارستان: بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق، ويقال طَخَيرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وأما السفلى فهي أيضاً غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا؛ وقد خرج منها طائفة من أهل العلم، ومن مدن طخارستان: خُلْم وسمنجان وبَغْلان « باقلان » وسَكَلَكَنْد وورواليز؛ قال الإصطخري: وأكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مُسْتَوٍ من الأرض وبينها وبين الجبل غلوة سهم.
الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٣ .

٢ استمرت متاعب قتيبة بن مسلم مع أمراء طخارستان مستمرة، خاصة نيزك، وهو أحد الأمراء الذين صالحوا القائد المسلم.
لقد استغل نيزك هذا خروج الجيش الإسلامي من المنطقة، فنقض العهد الذي أبرمه مع المسلمين وكون حلفاً من أمراء طخارستان ضد الوجود الإسلامي، فاضطر قتيبة للعودة إلى طخارستان، لإخضاعه، وتمكن من القضاء على الحلف الذي شكله ثم قبض عليه وقتله.

بدأ **قتيبة** عملياته العسكرية اعتباراً من عام (٨٦ هـ/٧٠٥م) فعبر نهر جيحون على رأس جيش كبير، وتمكن بعد سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة من إنزال العقاب بجميع الذين انتفضوا على الحكم الإسلامي في عهد الحروب الأهلية، وأعاد فتح إقليم طخارستان « السفلى والعليا ». وتعتبر هذه الخطوة ضرورية لتمهيد طريق التقدم إلى أقاليم أخرى، ثم عاد إلى مرو، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم.

تقدم قتيبة بعد طخارستان إلى إقليم **بخارى** ففزا **بيكند** في عام (٨٧هـ/٧٠٦م) وفتحها صلحاً بعد حصار. ويبدو أن أهلها لم يكونوا صادقين في صلحهم، فاغتنموا فرصة انهماك المسلمين بالفتوحات، وثاروا على الحكم الإسلامي وقتلوا الوالي، فاضطر قتيبة للعودة إلى المدينة **وفتحها عنوة**. ثم عاد إلى **مرو**، استمرت حملات قتيبة على **إقليم بخارى ثلاث سنوات**، فكان يغزوه في الصيف ويعود في الشتاء إلى مرو، حتى تمكن أخيراً من فتحه، وثبت أقدام المسلمين في مدنه.

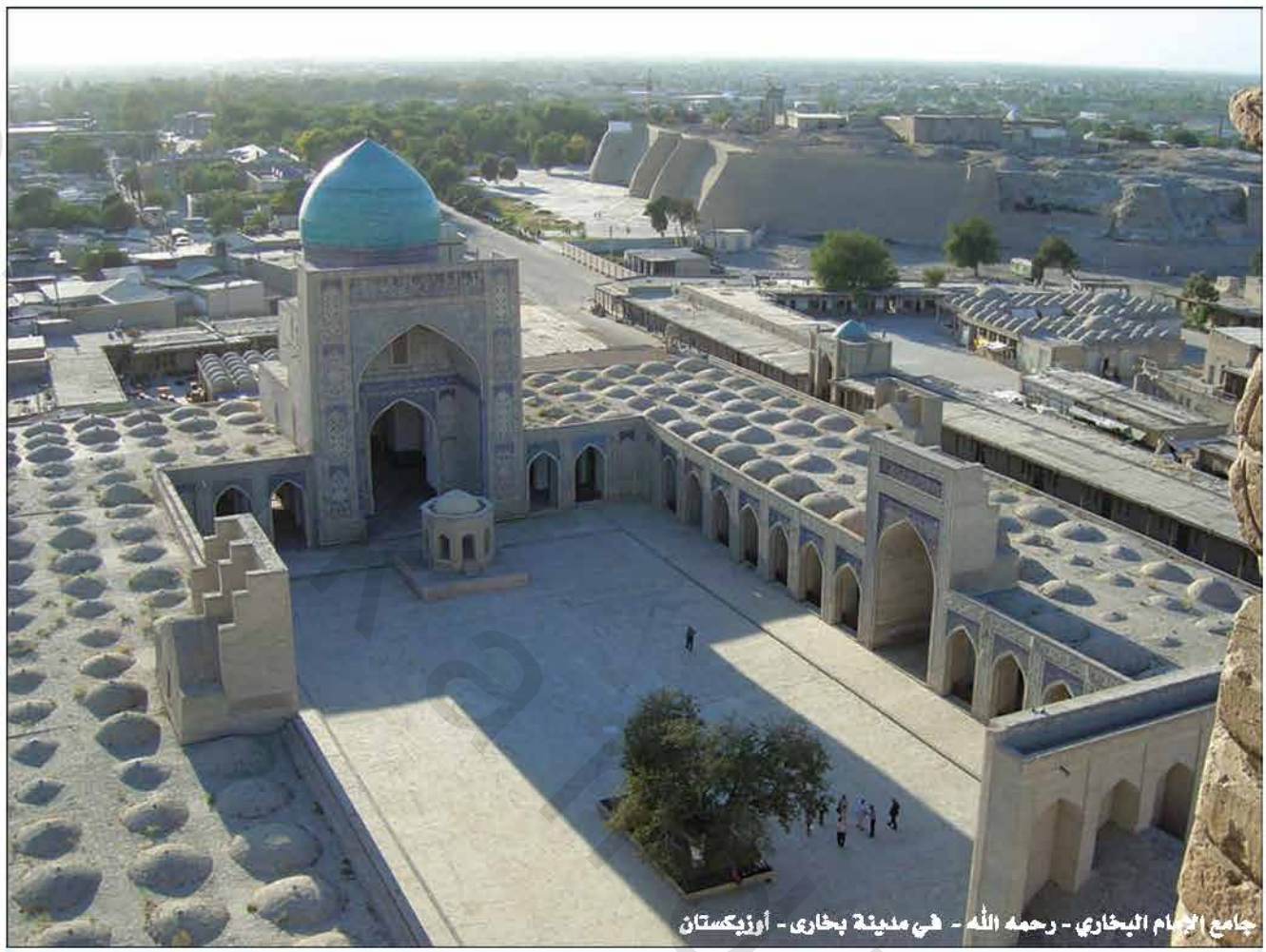
جامع الإمام البخاري - رحمه الله - في مدينة بخارى - أوزبكستان

أروقة أحد المساجد القديمة في بخارى

مسجد في بخارى من العهد السامانى

١ **سَمَرْقَنْدُ:** بفتح أوّله وثانيه، ويقال لها بالعربيّة سُمَّران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصُّغْد مبنيّة على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، ... وبسمرقند عدّة مدن مذكورة في مواضعها، منها: كرمانية ودبوسية وأشروسنة والشاش ونخشب ونباكث؛ وقالوا: ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند، وقد شبهها حضين بن المنذر الرقاشي فقال: كأنّها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للإشراق ونهرها المجرّة للاعتراض وسورها الشمس للإطباق؛ ... . الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٤٦ - ٢٤٩ .

٢ أتم القائد قتيبة بن مسلم **إعادة** تثبيت فتح إقليم سجستان بين إيران وباكستان اليوم.

فتوحات قتيبة بن مسلم « المرحلة الثالثة »

استأنف **قتيبة** فتوحاته في حوض نهر جيحون، ففتح **سمرقند** صلحاً في عام (٩١هـ/٧٠٩م) وهي من أعظم المدائن في بلاد **الصغد** كما فتح **مدن خوارزم** صلحاً أيضاً في عام (٩٣هـ/٧١٢م). وتوج فتوحاته **بإعادة فتح سمرقند**، بعد أن نقض أهلها الصلح مع المسلمين، وتثبيت أقدام المسلمين فيها.

ميدان ريجستان بسمرقند - أوزبكستان

تقع مدينة "سمرقند" في آسيا الوسطى، في أوزبكستان. ومعني الاسم "قلعة الأرض"، وقد وصفها "ابن بطوطة" بقوله: " إنها من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالاً، مبنية على شاطئ وادٍ يعرف بوادي القصّارين، وكانت تضم قصوراً عظيمة، وعمارة تُنبِئ عن هِمَم أهلها. ".

تكمن أهمية فتح سمرقند أنها ضمت مصنعاً للورق، وهي صناعة صينية نقلتها جماعة من الحرفيين الصينيين إلى هذه المدينة. وحمل المسلمون هذه الصناعة إلى دمشق ثم إلى بغداد بعد ذلك في العصر العباسي، وإلى القاهرة وإفريقيا الشمالية وصقلية والأندلس، ومنها انتقلت إلى أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي.

١ فَرْغَانَةُ: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تُرْكستان في زاوية من ناحية هَيْطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق، يقال كان بها أربعون منبراً، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، ومن ولايتها خُجَندة؛ ! ... . الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٥٣ .

٢ أراد قتيبة تحقيق إنجاز إسلامي على الحدود مع الصين. فغادر مرو في طريقه إلى كاشغر، وهي أدنى المدائن إلى الصين، ولما وصلها جاءه رسول من قبل الإمبراطور الصيني يدعوه إلى إرسال وفد إلى العاصمة الصينية للتباحث في أمر تقدم المسلمين. وفعلاً أرسل وفداً على رأسه هبيرة بن المشمرج، الذي أجرى مباحثات مع الجانب الصيني، أسفرت على ما يبدو، إلى تجميد الفتوحات الإسلامية باتجاه الصين.

فتوحات قتيبة بن مسلم « المرحلة الرابعة »

انتقل قتيبة، اعتباراً من عام (٩٤هـ/٧١٢م)، إلى فتح مدن الشاش وفرغانة وكاشغر، وكانت تحت سيطرة الأتراك، فصادف مقاومة شرسة، واصطدم بهم أكثر من مرة حتى تمكن أخيراً من فتحها في عام (٩٥هـ/٧١٤م).

وفي أثناء جهاده في بلاد الترك جاءه نعي الحجاج، فاغتم لموته. أدرك الخليفة تأثير ذلك عليه، فبعث إليه برسالة مواساة وتشجيع وثناء، فأحدثت في نفسه أثراً طيباً.

امتدت المرحلة الرابعة من فتوحات القائد الأموي قتيبة بن مسلم الباهلي من سنة ٩٤-٩٦ هجرية، حيث أتم فيها فتح حوض نهر سيحون بما فيه من مدن، ثم دخل أرض الصين وأوغل فيها ووصل مدينة كاشغر وجعلها قاعدة إسلامية وكان هذا آخر ما وصلت إليه جيوش الإسلام في آسيا شرقاً ولم يصل أحد من المسلمين أبعد من ذلك خلال الفتوحات.

كان الاحتفاظ بإقليم فرغانة بيد المسلمين، يستوجب فتح منطقة كاشغر التي تقع شرقي إقليم فرغانة، ويقطنها الترك كما يقطنون إقليم فرغانة. وفي سنة ٩٦ هـ - ٧١٤م، غزا قتيبة مدينة كاشغر، وهي أدنى مدائن الصين وأقربها إلى فرغانة « انظر الخارطة في الأعلى ».

وسار قتيبة من مرو عاصمة خراسان على رأس جيشه، وحمل الناس أبناءهم لتستقر في سمرقند. وعبر الجيش الإسلامي نهر جيحون، فاستعمل قتيبة رجلاً على معبر النهر، ليمنع من يرجع من جنده إلا بجواز منه وبموافقته الخطية. ومضى جيش المسلمين إلى فرغانة، مروراً بسمرقند، حيث أبقى الناس أبناءهم فيها بحماية المسلمين من أهل سمرقند، وكان الإسلام قد انتشر فيها انتشاراً سريعاً موفقاً. وفي فرغانة أكمل قتيبة استعدادات جيشه للقتال، وأرسل إلى (شعب عصام) الفَعَلَة لتمهيده، حتى يجتاز الجيش بسهولة ويسر وسرعة، فأكمل الفعلة مهمتهم وأخبروا قتيبة بإكمالها. **والفعلة هم سلاح الهندسة**، كما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة: وهم الذين يمهدون الطرق، ويبنون القناطر والجسور، ويزيلون العقبات الطبيعية، ويؤمّنون وسائط عبور الأنهار، ويشرفون على العبور والمعابر. ويبدو أن (شِعب عصام) أو وادي عصام، عارض من العوارض الطبيعية الوعرة، يعرقل مسيرة الجيش بقوات كبيرة، ويقع بين فرغانة والحدود الصينية القديمة. وتقدم قتيبة على رأس جيشه من فرغانة، سالكاً الطريق التجارية التي تربط مدينة فرغانة بمدينة كاشغر، ماراً بجنوب بحيرة (جاتيركول) السوفييتية قبل سقوط الشيوعية فيها، على الحدود مع الصين، مقتحماً ممر (تيترك) في تركستان الشرقية. وبعث قتيبة مقدمة أمام جيشه إلى كاشغر، فتقدمت حتى وصلت إلى هدفها، بعد أن أزاحت المقاومات الطفيفة التي صادفتها في طريقها وغنمت . وأوغل قتيبة حتى قارب حدود الصين القديمة، ففتح كاشغر، وجنفاريا الواقعة على حدود منغوليا، وترفان على مقربة من الحدود المنغولية، وخوتن الواقعة شمالي التبت وكشمير، وقانو التي تقع تماماً في منتصف الصين الحالية. **لكن المصادر العربية المعتمدة تقتصر على فتح كاشغر في هذه السنة ولا تقدم التفاصيل الإضافية الأخرى عن فتوح المدن الصينية الأخرى.** بتصرف عن إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية، ص ٦٤-٦٥.

فتح كاشغر: بات الاصطدام **بين المسلمين** من جهة **وبين ملك الصين** من جهة ثانية وشيكاً، فطلب ملك الصين التفاوض بين الجانبين، وعرض التفاوض على قتيبة، فقد أوغل قتيبة حتى قارب الصين واخترق حدودها الغربية، فكتب إليه ملك الصين: «ابعث إلي رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم»، فوافق قتيبة على طلب ملك الصين.

واختار قتيبة من بين رجال جيشه اثني عشر رجلاً، لهم جَمال وألسن وبأس وتجمّل وصلاح، وأمر لهم بعُدّة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وغير ذلك وخيول حسنة، وكان منهم هُبيرة بن المشمرج الكلابي مفوّهاً سليط اللسان، وقال لهم: «إذا دخلتم على ملك الصين، فأعلموه أني حلفتُ أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم»..

وسار وفدُ قتيبة إلى ملك الصين، عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي، فلما قدموا الصين، دعاهم ملكها، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الفلائل، وتطيبوا ولبسوا الأردية، ودخلوا على الملك، وكان عنده عظماء قومه، فأخذوا أماكنهم في مجلسه، فلم يكلم الملك الوفد ولا أحد ممن عنده.

ولما انصرف الوفد من مجلس الملك، قال الملك لمن حضره: «كيف رأيتم هؤلاء؟» قالوا: «رأينا قوماً ما هم إلا نساء». وبالطبع قال من حول الملك ما يحب الملك أن يسمع، لا ما يجب على الملك أن يسمع، أسوة من حول أصحاب السلطان في كل زمان وكل مكان، وفي غد دعاهم الملك إلى مجلسه، ولبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف –ألبسة من خزّ مربعة لها أعلام– وغدوا عليه، فلما دخلوا عليه قيل لهم: ارجعوا. وقال الملك لأصحابه بعد انصراف وفد المسلمين: كيف رأيتم؟ فقالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك، وفي اليوم الثالث دعاهم الملك إلى مجلسه أيضاً، فشدوا سلاحهم، ولبسوا البيض – الخوذ والمغافر – (جمع مِغفر)، وهو زرد ينسج على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.. وأخذوا السيوف والرماح والقسي، وركبوا خيولهم العربية المطهمة الأصيلة. ونظر إليهم ملك الصين، فرأى أمثال الجبال المقبلة، فلما دنوا من مجلس الملك، ركزوا رماحهم ثم أقبلوا مشمِّرين وقيل لهم قبل أن يدخلوا على الملك: «ارجعوا..» لما دخل في قلوب الملك ومن معه من رجال الصين وقادتها من خوف ورهبة. وانصرف الوفد عائداً إلى مستقره، بعد أن أخذوا رماحهم واستعادوا سلاحهم وامتطوا خيولهم، ثم دفعوا الخيل حضراً – عدْو ذو وثب، وهو ركض الخيل بأقصى سرعتها، كالذي يجري في سباق الخيل – كأنهم يتطاردون، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ فقالوا: ما رأينا مثل هؤلاء! وفي مساء ذلك اليوم، بعث ملك الصين إليهم، أن ابعثوا إليّ زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة، فقال له الملك: قد رأيتم عظم ملكي، وأنه ليس أحد يمنعكم مني، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي، وإني سائلكم عن أمر، فإن لم تصدقوني قتلتكم. وما كان هبيرة بحاجة إلى التهديد والوعيد، وليس هو من الرجال الذين يخيفهم التهديد والوعيد، فهو لا يكذب أبداً حتى ولو قتل على أن يكذب لا على ألا يكذب، فلا مجال لتهديده بالقتل إذا لم يصدق وسأل الملك هبيرة: لماذا صنعوا في الزي الأول ما صنعوا، ثم الزي الثاني، والزي الثالث؟ وكان جواب هبيرة: أما زيّنا الأول، فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا، وأما الثالث

فزيّنا لعدوّنا. وقال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم، فانصرفوا إلى صاحبكم، فقولوا له: ينصرف، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثتُ عليكم من يهلككم ويهلكه وإذا كانت الجبال الراسيات تهتز قيد أنملة من خطرات النسيم العليل، فإن هبيرة قد اهتز يومئذ من وعيد الملك وتهديده، فلا بد له من أن يبلغ هذا الملك رسالة قتيبة بقوة وأمانة وصدق، فقال للملك في ثقة كاملة وهدوء تام: كيف يكون قليل الأصحاب مَن أول خيوله في بلادك، وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا وغزاك؟ وأما تخويفك بالقتل، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه، واستخذى الملك في مجابهة قولة الحق، فنسي تهديده ووعيده، ثم تساءل في قول ليّن رقيق: فما الذي يُرضي صاحبك؟ فأجابه هبيرة بقول فصل لا مساومة فيه: إنه حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويُعطَى الجزية.

واستخذى الملك إلى درجة الانهيار بعد أن سمع كلمة الحق تزهق الباطل، فقال: فإنا نخرجه من يمينه: نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه، ونبعث أبناءنا فيختمهم، ونبعث له مالاً يرضاه.. ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب من أرض الصين، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزهم، فقدموا على قتيبة الذي قبل الجزية، وختم الغلمان، وردّهم إلى الملك، ووطئ تراب الصين. وقد لجأ الوفد الإسلامي إلى تبديل أزيائهم للتأثير في معنويات ملك الصين ومن معه، مما أدّى إلى انهيار معنويات الصينيين واستجابتهم لمطالب المسلمين .

حقيقة الفتح : المؤرخون العرب يذكرون أن مدينة كاشغر هي أدنى مدائن الصين، ولكن البلدانيين العرب يذكرون أنها من مدن تركستان. وما أخطأ المؤرخون العرب، لأن حدود الصين كانت تمتد غرباً فتضمّ حدودُها تركستان الشرقية بكاملها، أو جزءاً منها في حالة اشتداد قوة ملوك الصين، وتنحسر تلك الحدود نحو الشرق، فتستقل تركستان الشرقية بحدودها الطبيعية، أو تمتد حدود تركستان الشرقية فتضم إليها أجزاء من الصين، في حالة قوة ملوك تركستان وضعف ملوك الصين. وما أخطأ البلدانيون العرب القدامى في ذكرهم أن مدينة كاشغر من مدن تركستان الشرقية، فهي في الواقع كذلك أصلاً، ولكنها تدخل في حدود الصين تارة، وتكون خارج حدودها تارة أخرى، وقد ظلت تركستان الشرقية خاصة عرضة لهجمات الصينيين حتى أصبحت اليوم من أجزاء الصين كما هو معلوم. ومن مراجعة تاريخ تركستان الشرقية القديم يتضح لنا أن منطقة كاشغر والمناطق التي حولها التي امتدت الفتوحات الإسلامية إليها، كانت ضمن دولة (كول تورك) التي كانت من سنة ٥٥٢ م إلى سنة ٧٤٥ م، ومعنى هذا أن الفتح الإسلامي في تركستان سنة ست وتسعين للهجرة (٧١٤ م) كان على عهد تلك الدولة التركية التي كانت في عداء مستمر مع جارتها الشرقية الصين، وكانت على ولاء كامل مع بلاد ما وراء النهر، وخاصة مع إقليم فرغانة، لأن العنصر التركي كان يسيطر على هذا الإقليم، فكان تعاونه مع تركستان الشرقية تعاوناً وثيقاً. ويذكر لنا تاريخ تركستان الشرقية القديم، أن الاضطرابات شملت تركستان الشرقية سنة إحدى وعشرين ومائة للهجرة (٧٣٨ م)، فاستغل الصينيون هذه الاضطرابات واعتدوا على تركستان الشرقية وضمّوها إلى بلادهم.

ولكن الأتراك من سكان تركستان الشرقية تمكنوا من الحصول على المعونات العربية الإسلامية سنة أربع وثلاثين ومائة الهجرية (٧٥١ م) على عهد الدولة العباسية في بغداد، وتمكنوا بهذا العون من إنقاذ بلادهم من حكم الصين، وهزموا الصينيين في معركة (تالاس) المشهورة. يتضح من ذلك أن الفتح الإسلامي في كاشغر والمدن الأخرى جرى في تركستان الشرقية لا في الصين، ولكن ملك الصين الذي وجد سرعة تقدم الفتوح الإسلامية ووصولها إلى حدوده الغربية مباشرة في حينه، سعى لإرضاء الفاتحين خوفاً من اختراق بلاده وفتحها، فقدم ما قدم لقتيبة إرضاء له ولمن معه من المجاهدين، وصدّاً لتيارهم الجارف بالتي هي أحسن.

أما السبب الحقيقي لعودة قتيبة وجيشه عن حدود الصين الغربية، كما تذكر المصادر التاريخية المعتمدة، هو وصول خبر وفاة الوليد بن عبد الملك، وتولّي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعده، وكان ذلك سنة ست وتسعين للهجرة، وكان الوليد مؤيداً لقتيبة وسنداً له أسوة بقادة الحجاج بن يوسف الثقفي كافة، وكان سليمان يكرههم ولا يميل إليهم!، لأن الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد ويجعل بدله عبد العزيز ابن الوليد بن عبد الملك (ابنه)، فبايعه على خلع سليمان الحجاجُ وقتيبة وقادة الحجاج الآخرون [١].

وعاد قتيبة بمن معه من جيش المسلمين، فقُتل في فرغانة سنة ست وتسعين الهجرية، وهو في طريق عودته إلى خراسان، فقال رجل من العجم: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة! والله لو كان قتيبة منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح إذا غزونا! وقال أحد رجالات العجم بعد مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا العرب!

كاشغر: مدينة من أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها، وكانت عاصمة تركستان الشرقية، ولها مركز عظيم في التجارة مع روسيا وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية الشيوعية سنة ١٩٤٩م واحتلتها، فأطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) وهي كلمة صينية تعني: المستعمرة الجديدة، وتبعهم بهذه التسمية الأوروبيون وبعض المصادر العربية الحديثة، إلا أن أهل تركستان الشرقية المسلمون يحبون أن تسمى بلادهم باسمها القديم: تركستان الشرقية، ولا يحبون تسميتها بالاسم الصيني الجديد.

وقد لعبت تركستان الشرقية دوراً تاريخياً مهماً في التجارة العالمية، وكان طريق الحرير المشهور يمر بها، وهو الطريق الذي كان يربط بين الصين أبعد بلاد العالم القديم والدولة البيزنطية.

١- إسماعيل حقي شن كولر – قضية تركستان الشرقية، ص ٦٤-٦٥.

أحد جوامع كاشغر

وادي فرغانة

يقع **وادي فرغانة** بين ثلاث دول في أواسط آسيا، و تقتسمه كل من أوزبكستان، وقيرغيزستان، و طاجيكستان و يرتفع حوالي ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ قدم "٤٦٠ متراً" عن سطح البحر. وتحيط بالوادي الجبال من ثلاث جهات، حيث تحده من الشمال الغربي جبال كُرماين، و جبال شاتقال من جهة الشمال، وجبال فرغانة من الشرق، و جبال آلاي و تركستان من الجنوب. يبلغ طوله حوالى مئة وخمسين كيلو متراً و حوالي ثلاثمئة كيلومتراً في العرض و مفتوح من جهة الجنوب الغربي بما يعرف ببوابة خودشاند و التي يبلغ عرضها ٩ كم. يعتبر الوادي من أخصب المناطق في تركستان، و يستمد خصوبته من نهري نارين، و قارا داريا، و اللذان يلتقيان قرب مدينة نمغان ليشكلا نهر "سير داريا" أو ما يعرف تاريخياً **بنهر سيحون**. يعتبر الوادي مصدراً غنياً للمحصولات الزراعية المتنوعة، و أرضاً مثالية للرعي.

فتح بلاد السـنـد:

يقع إقليم السـند في شـمالي غربي شبه القارة الهندية وشرقي بلاد فارس الجنوبية. وتعد أحداث فتح هذا الإقليم شبيهة بأحداث فتوحات بلاد ما وراء النهر من عدة أوجه منها :

- وحدة الزمان:فقد بدأ المسلمون فتوحاتهم في هذا الإقليم عام (٨٩هـ/٧٠٨م)، أي بعد أن بدأ قتيبة ابـن مسـلم فتوحاته لبلاد ما وراء النهر بعامـين اثنين، وإن كانت اهتماماتهم بفتح بـلاد الهند ترجع إلى عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.
- وحدة العالم الإسـلامي: لقد تمت فتوحات كل من إقليم ما وراء النهر وإقليم السـند في ظل وحدة العالم الإسلامي التي حققها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمه الله.
- وحـدة القيـادة العامـة: فالحجـاج بن يوسـف الثقفـي هو الذي وجَّـه الحملات العسـكرية إلى كلا الإقليمـين. فقـد كلـف قتيبة بن مسـلم بفتح بلاد مـا وراء النهـر، كما كلَّف صـهره وابن عمـه محمد بن القاسم بفتح إقليم السند.
- وحدة الإعداد والتجهيز: في ظل القيادة العامة الواحدة.

عهد الحجاج إلى ابن عمه محمد بن القاسـم، الذي لم يكن قد تجاوز العشـرين من العمر، بفتح إقليم السند، بعد أن أضحى يجاور الحدود الشرقية للدولة الإسلامية، وعيَّنه أميراً عليه.

انتقـل محمـد هذا إلى **مكـران** وتمركز فيها، وجعلهـا نقطة الانطلاق وقاعدة الفتـح، وخرج منها إلى **الديبل**، على سـاحل بحر الهند، وفتح وهو في طريقه إليها عدة قلاع ولما حاصـرها واقتحمها بعد ثلاثة أيام هرب منها عامل **داهر ملك السند**.

أعاد القائد المسلم تخطيط المدينة وأسكنها بأربعة آلاف من المسلمين، وجعلها قاعدة بحرية. وكان لفتح المدينة تأثير كبير على الوضـع الداخلي للمدن والقرى المجاورة، حيث هرع السـكان يعرضـون الصلح على المسلمين.

توجه محمد بن القاسـم بعد ذلك إلى **البيرون** الواقعة على الضـفة الغربية لنهر السند المعروف باسم مهران، فصـالحه سـكان سـربيدوس وسـهبان وانتصـر عليه وقتله. سـيطر المسـلمون بعد هذا النشاط الجهـادي علـى كامـل إقليم السـند، ثم زحفت جيوشـهم نحو الشـمال الشـرقي حتى وصـلوا إلى المدينة برهمناباد، وقد لجأت إليها فلول جيش داهر بقيادة ابنه جاي سنك إلى الشمال، وتحصن بالرور عاصمة السند، فلحقه المسلمون وحاصروا المدينة مدة أربعة أشهر قبل أن يفتحوها[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١١١ - ١١٣ .

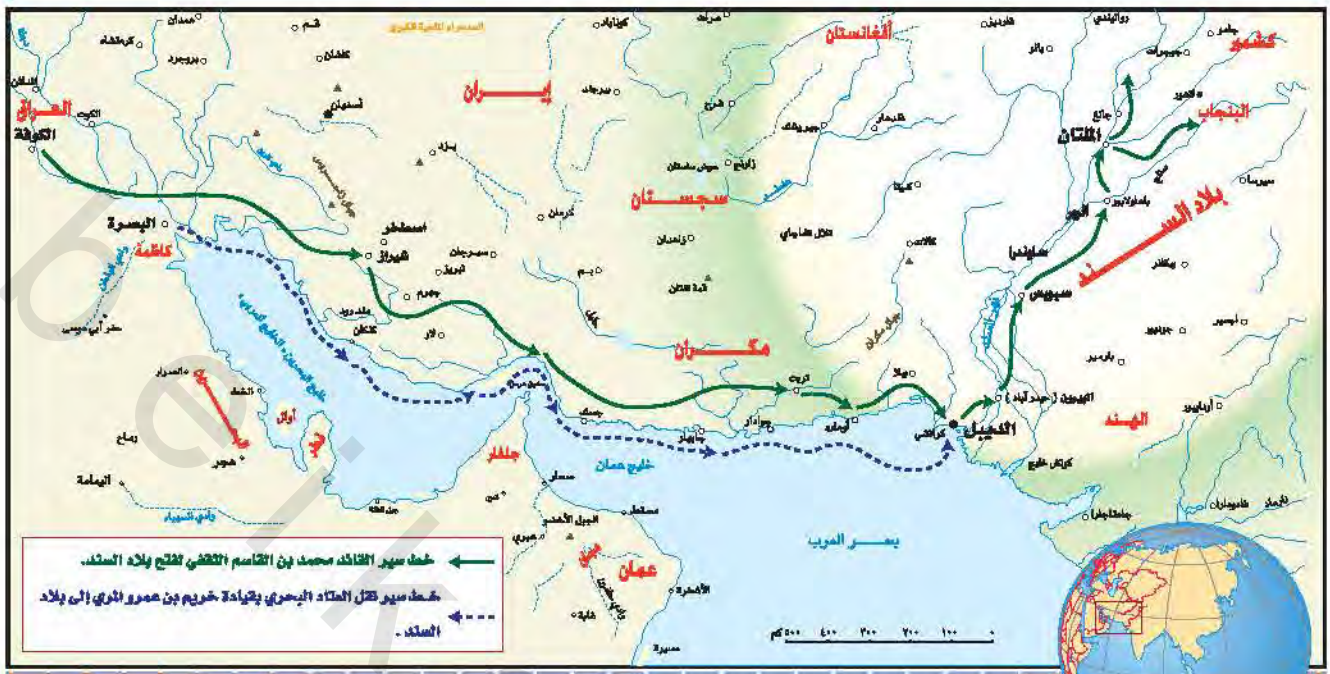

فتوحات محمد بن القاسم الثقفي على أرض السند

تابع القائد المسلم زحفه حتى قطع نهر بياس، أحد روافد نهر السند، ووصل إلى **الملتان** فحاصرها وفتحها عنوة، وأرسل فرقة عسكرية دخلت البيلمان وصالحه أهل سرست، وفتح الكيرج عنوة.

أضحى وادي السند. بعد هذا الانتشار الإسلامي ، في قبضة المسلمين. فانصرف محمد بن القاسم إلى تنظيم أمور البلاد المفتوحة، والاستعداد للزحف نحو إمارة كنوج لكن أتاه نعي الحجاج، ثم نعي الوليد في عام (٩٦ هـ/٧١٥م) وتولي أخيه سليمان الخلافة، فتوقفت العمليات العسكرية على أرض السند.

قال أبو حمزة الحنفي:

إن المروءة والسماحة والندى ... لمحمد بن القاسم بن محمدِ

ساس الجيوش لسبعَ عشرَة حجةً ... يا قُربَ ذلك سؤدداً من مولدِ

عَنْ ثَوْبَانَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللهُ مِنَ النَّارِ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » . سنن النسائي الصغرى ، وأخرجه ابن عساكر في (تاريخه) (٢٤٨/٥٢)وصححه الألباني(٢) فنرجو بهذا الحديث النبوي أن يكون محمد بن القاسم وجيشه داخلاً في هذه البشرى العظيمة ، ونسأل الله لهم الفردوس الأعلى وأن يلحقنا بهم ونحن دعاة خير وسلام .

أتى محمد بن القاسم (البيرون) فصالحه أهلها، وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا وفتحها وهزم جيوشها، ثم سار الى نهر (مِهران) فنزل في وسطه، وبلغ خبره "داهر"، فاستعد لمجابهته وعبر محمد بن القاسم النهر مما يلي بلاد الملك "راسل" ملك مدينة (القَصّة =كَجّ) وهي من بلاد الهند، وهناك لقى محمد بن القاسم قوات الملك "داهر" أعظم ملوكهم وكان يمتطى فيله وحوله الفيلة والخيول والجيوش العظيمة، وبدأت معركة عنيفة وشرسة واقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، واستخدم الهنود الفيلة، والنبال، والنفط « انظر الآلة التي يقومون برمي النفط بها »، واستمر القتال حتى المساء وترجل "داهر" وظل يُقاتل حتى قُتل ولله الحمد والمنة، وانهزم أصحابه وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وكان الذى قتله – أي "داهر" – القاسم بن ثعلبة بن عبد الله الطائي، فقال – رحمه الله – في هذه المناسبة يفتخر بقتله للملك "داهر":

الخيلُ تشهد يوم داهَرَ والقَنا

ومحمدُ بن القاسم بن محمدِ

أنّى فَرَجْتُ الجمع غير مُعرِّدٍ

حتى علوتُ عظيمهم بمُهنّدِ

فتركتُه تحت العَجاج مُجندلاً

متعفّر الخدّين غير موسّدِ

وكان هذا الانتصار من أعظم انتصارات محمد بن القاسم ، وتخلص بذلك من أكبر ملوك السند وهو "داهر" ، ثم واصل محمد بن القاسم فتوحاته.

بقايا قلعة داهر بإقليم السند، ملك السند

نموذج لمنجنيق استخدمه المسلمون في فتوح السند أيام محمد بن القاسم

الدَّيبُل: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة مضمومة، ولام: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند، والدّيبل في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب أربع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وهي فرضة، واليها تُفضي مياه نَهْور ومُولتان فتصب في البحر المالح؛ وقد نسب إليها قوم من الرواة، منهم: أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي، جاوَر مكة، روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وحسين بن حسن المروزي وابنه إبراهيم بن محمد الديبلي، يروي عن موسى بن هارون.الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٩٥ .

م . ص . محمود حافظ، موقع فرسان السنة على الشبكة العنكبوتية

أول مسجد في شبه القارة الهندية بناه محمد بن القاسم بمدينة الديّبل (كراتشي) حالياً بباكستان

بقايا مسجد محمد بن القاسم بمدينة (الرور)

كان هذا المسجد الذي بناه محمد ابن القاسم هو أول مسجد بُني في هذه المنطقة. بمدينة الديّبل (كراتشي) حالياً بباكستان.

ونزل الخبر على "داهر" كالصاعقة.

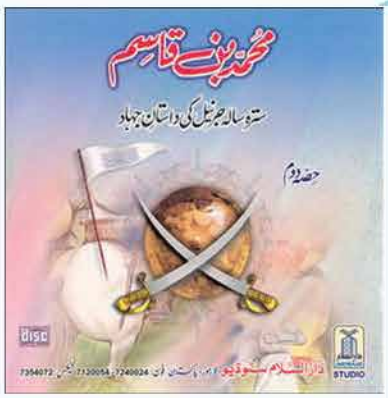

مازالت سيرة القائد محمد بن القاسم تُطبع وتباع في باكستان والهند إعجاباً بشخصيته الفذة، وسيرته الطيبة.

ثانياً : الجبهة البيزنطية

انتهج الوليد بن عبد الملك نهج والده في الضغط على الإمبراطورية البيزنطية. والواقع أنه في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور البيزنطي يخشى اتساع النشاط العسكري الإسلامي في البر والبحر، كان الخليفة يعمل على تحقيق الهدف الذي ظل يراود الخلفاء الأمويين منذ تأسيس دولتهم، ألا وهو **فتح القسطنطينية**، خاصة وأن الإمكانات الإسلامية أصبحت متاحة بعد تقوية الأسطول البحري، وتنسيق التعاون بين القوتين البرية والبحرية، في حين افتقد الجانب البيزنطي إلى الاستقرار، وتدهورت قوته العسكرية، وساد الوضع الداخلي الصراع على العرش مما خلق مناخاً طيباً للعمليات العسكرية.

وقاد حركة الجهاد الإسلامي، على هذه الجبهة القائد الأموي **مسلمة بن عبد الملك**، أخو الخليفة الوليد، بمشاركة **العباس بن الوليد**، وتمكن من **فتح عدة حصون** ذات أهمية استراتيجية في الطريق المؤدي إلى القسطنطينية، أمثال: طوانة، وهرثومة، وهرقلة، وقونية، والحصون الخمسة التي تلي الحدود البيزنطية مع بلاد الشام، وعموريه ودوريليوم وسبسطية وطرسوس وبرجمة، ووصلت إحدى فرقه إلى مدينة سكودري في عمق الأراضي البيزنطية .

مساكن منحوته في الجبال في قونية - تركيا

نتيجة لهذا النشاط العسكري الإسلامي المكثف، حاول البيزنطيون إيقافه أو الحد من قوة اندفاعه، فعمدوا إلى تقوية جبهة آسيا الصغرى، فعمّروا مدنها وشحنوها بجماعات من **الأرمن**، وعينوا قادة جدداً على ثغورها، خاصة ثغر الأناضول، واهتموا اهتماماً خاصاً بتقوية القوى الحربية، وعملوا على توفير أسباب الدفاع عن العاصمة.

وشهد عام ٩٦ هـ / ٧١٥ م، تطوراً جديداً في الأحداث، ففي دمشق تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك خلفاً لأخيه الوليد، وفي بيزنطة اختير ثيودسيوس الثالث إمبراطوراً. لكن أهداف كل من الدولتين لم تتغير، فتابع كل عاهل خطوات سلفه[١].

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١١٤ - ١١٥ .

الصراع الإسلامي البيزنطي على آسيا الصغرى في عهد الوليد بن عبد الملك

بقايا أثرية من مدينة عمورية - تركيا

دأب الوليد على محاربة الدولة البيزنطية؛ لتأمين حدود دولته معها، وكان أخوه مسلمة بن عبد الملك بطل هذه الحروب، واشترك معه أبناء الخليفة الوليد في منازلة البيزنطيين وفتح حصونهم، وظلت الحملات تتوالى على بلاد الروم منذ سنة (٨٨ هـ = ٧٠٦م)، ولا يكاد يخلو عام من حملة على الروم، واستعد الوليد لإرسال حملة برية وبحرية لغزو القسطنطينية، لكن المنية عاجلته قبل أن ينفذ هذا المشروع، فنهض به أخوه سليمان ابن عبد الملك الذي ولي الخلافة من بعده.

ثالثاً : جبهة شمالي إفريقيا

لقد بلغ المد التوسعي على هذه الجبهة ذروته في عهد الوليد بن عبد الملك أحد أكثر الخلفاء الأمويين تشجيعاً لهذا الاتجاه. وكان لديه من الظروف المساعدة ما دفعه إلى إعطاء السياسة الخارجية اهتماماً خاصاً. ومن الطبيعي أن استقرار الوضع الداخلي أوجد المناخ الملائم لتحقيق منجزات عسكرية على عدة جبهات في آن واحد، وكانت أعظم إنجازات تلك السياسة التوسعية، هي استكمال فتوح شمالي إفريقيا والفتح الكبير لأسبانيا.

أوضحنا من قبل،جهود حسان بن النعمان في تطهير منطقة المغرب من النفوذ البيزنطي، والقضاء على ثورة البربر الثانية. والواقع أنه لم يكد هذا القائد ينتهي من المشكلات الخارجية، ويتفرغ لمعالجة الشؤون الداخلية الإدارية لإمارته حتى تم استبداله بقائد آخر هو **موسى بن نصير**، وذلك في عام٨٥هـ /٧٠٤ م ، وإن كان تنفيذ المهمة قد تم في وقت متأخر من عهد عبد الملك، أو في مطلع عهد الوليد، وقد رافق القائد الجديد أولاده الأربعة وهم مفطورون على التربية العسكرية. وقد بدأت بتعيينه **المرحلة السابعة** والأخيرة من مراحل فتوح شمالي إفريقيا .

لم تكن مهمة موسى بن نصير على شيء من الصعوبة، فقد اهتم أولاً بتدعيم مركز **القيروان** العسكري ، ثم راح يثبت دعائم النصر الذي حققه سلفه في **المغربين الأدنى و الأوسط**.

لم يضيع موسى بن نصير وقتاً بعدما تولى القيادة بإفريقية، فلقد قرر إتمام أعمال من سبقوه من قادة عظام، متبعاً في ذلك سياسة عسكرية حكيمة قائمة على مبدأ قتال العدو القريب أولاً، حتى إذا انتهى خطره وزال أمره، انتقل لقتال العدو البعيد، وهو بذلك قد استفاد من أخطاء من سبقوه من قادة المغرب، خاصة الخطأ الذي وقع فيه الأمير الكبير عقبة بن نافع، عندما توغل في أرض العدو، غير واضع في حساباته الحشود الكبيرة للعدو خلفه.

وتنفيذاً لهذه السياسة الحكيمة،استهل أعماله في أواخر عام ٨٥ هـ وأوائل عام ٨٦ هـ/٧٠٤ - ٧٠٥م بفتح **قلعة زغوان**، وتقع في **منطقة جبلية بين القيروان وتونس**،حيث بدأ موسى باستعادة ما خرج عن طاعة المسلمين من بقاع وحصون خاصة وأن بعض قبائل البربر قد خلعت الطاعة، ثم أخضع المغرب الأوسط من صحراء "درعة" إلى "السوس الأقصى" إلى "بلاد المصامدة" - نسبة إلى قبيلة مصمودة الكبيرة - وهي المنطقة الممتدة في جنوبي الجزائر الآن ومهد السبيل نحو أهم مدن المغرب العربي "طنجة" و"سبتة".

خط سير الجيش الإسلامي إلى إفريقية (تونس) بقيادة موسى بن نصير

دخل موسى بن نصير بلاد المغرب سنة ٨٥ هـ، ولم يكن قد دخلها من قبل أو اشترك في فتح شيء منها، بالجملة كان شخصية مجهولة للجنود المسلمين والبربر على حد سواء، فلما دخلها توافد الناس إليه من كل مكان وكانت جموع كثيرة في انتظاره، فقام فيهم خطيباً وفي كلمات موجزة بليغة واضحة كالشمس قال لهم: "إنما أنا رجل كأحدكم؛ فمن رأى مني حسنة فليحمد الله، وليحض على مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها، فإني أخطيء كما تخطئون، وأصيب كما تصيبون، وقد أمر الأمير -أكرمه الله- لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً، فخذوها هنيئاً مريئاً، ومن كانت له حاجة فليرفعها إلينا وله عندنا قضاؤها على ما حز وهان، ومع المواساة إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا

زَغْوَانُ:

بفتح أوله، وسكون ثانيه غين واو، وآخره نون؛ قال ابن الأعرابي: الزغي رائحة الجيش، فإن كان عربياً فهو فعلان منه، قيل: هو جبل بإفريقية، قال أبو عبيد البكري: بالقرب من تونس في القبلة جبل زغوان، وهو جبل منيف مشرف يسمى كلب الزقاق المشهور، وعلوه واستدلال المسافرين به أينما توجهوا، فإنه يُرى على مسيرة الأيام الكثيرة، وعلوه يُرى السحابُ دونه، وكثيراً ما يمطر سفحه ولا يمطر أعلاه، وأهل إفريقية يقولون عن يستثقلونه: أثقل من جبل زغوان وأثقل من جبل الرصاص؛ وهو على تونس، وقال الشاعر يخاطب حمامة أرسلها من القيروان إلى تونس:

وفي زغوان فاستعلي علوّاً ... ودانٍ في تعاليك السحابا

ويزعمون أن فيه قرى كثيرة آهلة كثيرة المياه والثمار، وفيه مأوى الصالحين وخيار المسلمين، وبغربي جبل زغوان مدينة الأربُس. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٤.

ثم غزا **موسى بن نصير صنهاجة وسجومة** في شمالي المغرب الأقصى وفتح هذه الأخيرة، **وأرسل أولاده في كل اتجاه لتثبيت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة .**

والواقع أن فتح سجومة كان أمراً على جانب كبير من الأهمية فهذه البلدة التي في الغالب قاعدة لجزء كبير من قبيلة أوروبا، قبيلة كسيلة، كانت في الوقت نفسه، مفتاح الطريق إلى **سبتة وطنجة**.

كانت مدينة **"طنجة"** هي قصبة بلاد المغرب ودرتها، ومفتاح المغرب الأقصى وأكبر مدنه، لذلك فلقد اهتم بها موسى اهتماماً خاصاً، وخرج بنفسه في جيوش كبيرة من القيروان، ونزل على المدينة وحاصرها بشدة، وكان فيها قبائل بربرية من البتر "البربر البدو" والبرانس "البربر الحضر" ولم تكن هذه القبائل قد أسلمت أو التقت مع المسلمين من قبل، فلما نزل عليهم المسلمون لم يقووا على قتالهم واستسلموا سريعاً للمسلمين، فنزل فيها موسى وبنى فيها للمسلمين محالاً ومساجد، واختط فيها تجمعاً سكنياً للمسلمين يشبه القيروان، وجعل **طارق بن زياد البربري** والياً على "طنجة" وضواحيها وكان هذا التعيين أول فاتحة أعمال طارق بن زياد المجيدة.

حاول موسى بعد فتح مدينة **"طنجة"**، فتح مدينة **"سبتة"** الساحلية الهامة، وكانت هذه المدينة تابعة لحكم أسبانيا أو الأندلس، وعليها حاكم من طرفه واسمه "جوليان"، ولذلك كانت الإمدادات تنهال باستمرار على المدينة في أثناء محاصرة موسى لها، فلم يستطع المسلمون فتحها لشدة التحصين وكثرة الإمدادات وقربها من أسبانيا أو الأندلس.

واستكمل **موسى بن نصير** بعد ذلك، إخضاع البلاد إلى الجنوب من جبال الأطلس، فسيطر على المغرب الأوسط سيطرة تامة، وطارد المتمردين من البربر حتى أقليم السوس الأقصى في عمق المغرب .

لم تمنع فتوحات موسى بن نصير البرية، اهتمامه بمثيلاتها البحرية، ذلك لأن الروم ما زالوا يسيطرون على جزائر البحر الأبيض، والتي تعد بمثابة قواعد انطلاق للإغارة على بلاد المسلمين بالشام والشمال الإفريقي، وليظهر أهمية الغزوات البحرية، قام بنفسه بركوب البحر ودعا الناس لذلك، فتسارعوا لإجابة دعوته، وسميت هذه الغزوة بغزوة الأشراف، ومن كثرة أشراف الناس الراكبين للبحر وخلال هذه الغزوة، طرق موسى بعض جزر البحر المتوسط، مثل: "صقلية"، ثم "سردينية"، ثم "كورسيكا"، ثم "جزر البليار"، **ولكنها لم تكن فتوحاً ثابتة دائماً، بل هي في مجملها بعثات استكشافية لاستطلاع الأحوال بهذه الجزر، والقضاء على بؤر الروم بها.**

فتوحات موسى بن نصير وأبنائه وقادته في الشمال الإفريقي ٨٥ - ٩٢ هـ

قرر النصر الإسلامي مستقبل البربر الذين تحولوا إلى الإسلام، ودخلوا في الجيوش العربية ،كجنود محاربين، وقدر لبعضهم أن يصبح أكثر حماسة للإسلام من العرب أنفسهم، وهذا التحول الذي طرأ على وضعهم كانت له آثار إيجابية في فتح الأندلس بعد ذلك لأن معظم قبائل البربر أخذت بعد اعتناقها الإسلام تتوق إلى الحرب والجهاد وقد ادرك موسى بن نصير هذه النزعة فاستغلها بتوجيههم إلى الفتوحات الخارجيه، ولم يكن أمامه في هذه الحالة سوى عبور المضيق لتحقيق هذا الغرض .

obeikandi.com

عودة موسى بن نصير إلى القيروان بعد استكمال فتح الشمال الإفريقي

بعد أن فتح موسى بن نصير طنجة أقام للمسلمين مُدناً جديدة فيها، وبعث موسى لصديقه عبد العزيز بن مروان يبشره بالفتح، وأن خُمس الغنائم قد بلغ ثلاثين ألفاً، وجاءت الرسل إلى الخليفة « الوليد بن عبد الملك » في دمشق تزف إليه بشرى النصر، ففرح فرحاً شديداً لذلك، وكافأه على انتصاراته، وأخذ موسى بن نصير بنشر دين الله في المدن المفتوحة، ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً، وحكم بين أهل هذه البلاد بالعدل والمساواة، فأحب أهل البلاد الإسلام، ورغبوا في اعتناقه، ودخلوا في دين الله أفواجاً، وتحولوا من الشرك والكفر إلى الإسلام والتوحيد بفضل الله - تعالى - أولاً، ثم بجهود موسى ورجالاته. ولما ضمن موسى ولاء أهل المغرب واستمساكهم بدعوة الإسلام، عاد إلى القيروان لإعداد العدة لفتح جديد.

فضائيتان لمدينة سبتة ذات الحكم الذاتي. وهي مدينة أسبانية ذات حكم ذاتي مساحتها قرابة ١٨,٥ كم^2 ومحاطة بالأراضي المغربية. في عام ١٤١٥م، احتلت البرتغال سبتة، وبعد قرنين وربع انتزعها منهم الأسبان في ١٦٤٠م، أما مدينة مليلية فقد أحتلتها أسبانيا عام ١٤٩٧م بعد أن سقطت إمارة غرناطة.

وقد أصبحت المنطقة منذ عام ١٩٩٥ م، تتمتع بصيغة للحكم الذاتي داخل أسبانيا بقرار البرلمان الأسباني عام ١٩٩٥م.

رابعاً : فتح الأندلـــــس

أطلق العرب لفظ الأندلس على شبه جزيرة إيبيريا التي تضم أسبانيا والبرتغال معاً، وحين يذكر اسم الأندلس فإنه يعني أيضاً المنطقة الإسلامية التي شملها الإسلام سلطاناً وسكاناً حتى شمال جبال البرانس حيث المدن الفرنسية (بوردو، ومنتوبات على نهر الجارون، ونارني وخليج بسكاي) وكلها فتحها المسلمون. واستمر اسم الأندلس متداولاً حتى تقلصت دولة الأندلس، وانحصرت في الجنوب في إمارة غرناطة.

كان يحكم الأندلس قبائل القوط، وهي من الجماعات البربرية التي اجتاحت أوروبا في أواخر القرن الخامس الميلادي. وكان القوط أشد وحشية من قبائل «الوندال» ولكنهم فشلوا في اقامة مجتمع حضاري موحد الانتماء والمصالح على رغم أنهم سادوا أسبانيا طوال القرن السادس الميلادي، وكانت عاصمتهم «طليطلة» وكانوا يدينون بالمذهب الكاثوليكي.

كما كانت تسود الدولة نزاعات وصراعات بين الأمراء والنبلاء إلى جانب تدخل الكنيسة في شؤون الحكم، ودسائس اليهود. ومن نتائج هذه الصراعات الداخلية أن أحد قادة ملوك القوط «غيطشة» ويدعى لذريق نجح في قتله وتنصيب نفسه ملكاً على القوط بدلاً منه، وكان أهل أسبانيا يلتجؤون إلى المسلمين جنوب المضيق الذي لايتجاوز عرضه ٢٠ كلم- ليجدوا فيهم الحماية من بطش الملك لذريق الذي كان يملك جيشاً ضخماً يشكل تهديداً للدولة الإسلامية في المغرب، وهو ماكان يخشاه موسى بن نصير، إذ كان لذريق يريد تصدير متاعبه للخارج لكي يقضي على النزاعات الداخلية ويوحد الشعب الأسباني وراءه [١].

حملة طريف: استجابة لأمر الخليفة بدأ موسى ابن نصير في تجهيز حملة صغيرة لعبور البحر إلى أسبانيا، وكان قوامها خمسمائة جندي يقودهم قائد من البربر يدعى "طريف بن مالك"؛ لاستكشاف الأمر واستجلاء أرض الأسبان، وقدمت لهذه الحملة أربع سفن أقلتهم إلى أسبانيا، فعبرت البحر ونزلت هناك في منطقة سميت **بجزيرة طريف**، نسبة إلى قائد الحملة، وكان ذلك في (رمضان ٩١هـ= يوليو ٧١٠م) وجاست الحملة خلال الجزيرة الخضراء، وغنمت كثيراً ودرست أحوال أسبانيا، ثم قفلت راجعة إلى المغرب، وقدم قائدها إلى موسى ابن نصير نتائج حملته [٢].

---

١ - منيرة الديلمي، مقال عن فتح الأندلس في صحيفة اليوم.

٢ - أحمد تمام، حدث في مثل هذا اليوم « معارك وغزوات » ، إسلام أون لاين.

طريف بن مالك
قائد وفاتح أمازيغي يعتبر أول من قاد حملة في فتح الأندلس سنة ٩١ للهجرة، وله الفضل الكبير بعد الله في التمهيد لفتح الأندلس حيث كان أول من اكتشف شبه الجزيرة الإيبيرية وساهم في فتحها، وهنالك جزيره في الأندلس سميت على اسمه طريف كما أنه هناك مدينة تحمل اسمه وهي تاريفا في أقصى جنوب اسبانيا.

جزيرة طَرِيف أو تاريفا (بالأسبانية: Tarifa)، هي إحدى بلديات مقاطعة قادس، التي تقع في منطقة الأندلس جنوبي أسبانيا، تبلغ مساحتها ٤١٩ كيلو متر مربع فيما يبلغ عدد سكانها ١٦,٠٥٨ نسمة.

العبور إلى الأندلـــــس بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ

بعد مرور أقل من عام من عودة حملة طريف من الأندلس كان **موسى بن نصير** قد استعد للأمر، وحشد جنـوده، وجهز سـفنه، واختار قائداً عظيماً لهذه المهمة الجليلة هو **طـارق بن زياد والي طنجة**، وهو من أصل بربري دخل آباؤه الإسلام فنشأ مسلماً صالحاً، وتقدمت به مواهبه العسكرية إلى الصدارة، وهيأت له ملكاته أن يكون موضع ثقة الفاتح الكبير موسى بن نصير، فولاه قيادة حملته الجديدة على الأندلس.

خرج طارق بن زياد في سـبعة آلاف جندي معظمهم من البربر المسـلمين، وعبر مضيق البحر المتوسط إلى أسـبانيا، وتجمع الجيش الإسـلامي عند جبل صخري عرف فيما بعد باسم جبل طارق في (٥ من رجب ٩٢ هـ= ٢٧ من إبريل ٧١١م).

سـار الجيش الإسـلامي مخترقاً المنطقة المجـاورة غرباً، وزحـف على ولاية الجزيرة الخضـراء؛ فاحتل قلاعها، وترامت أنباء هذا الفتح إلى أسماع لذريق، وكان مشغولاً بمحاربة بعض الثائرين عليه في الشمال، فترك قتالهم وهرع إلى **طليطلة** عاصـمته، واسـتعد لمواجهة هذا الخطر الداهم على عرشـه، وبعث بأحد قادته لوقف الجيش الإسلامي، لكنه أخفق في مهمته.

وكان طارق بن زياد قد صـعد بجيشـه شمالاً صوب طليطلة، وعسكرت قواته في منطقة واسعة يحدها من الشـرق نهر وادي لكة، ومن الغرب نهر وادي البارباتي، وفي الوقت نفسـه أكمل لذريق اسـتعداداته، وجمع جيشاً هائلاً بلغ مائة ألف، وأحسن تسليحه، وسار إلى الجنوب للقاء المسلمين، وهو واثق إلى النصر مطمئن إلى عـدده وعتاده، ولما وقف طارق على خبر هذا الجيش كتب إلى موسـى نصـير يخـبره بالأمر، ويطلب منه المدد؛ فوافاه على عجل بخمسة آلاف مقاتل من خيرة الرجال، فبلغ المسلمون بذلك اثني عشر ألفاً[١].

معركة وادي لكة (وادي برباط)

كان لا بـد من الصـدام بين الفريقـين، فالتقى الفريقان جنوبي بحيرة خندة المتصـلة بنهر بارباتي الذي يصـب في المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة **"شذونة"**، وكان لقاء عاصفاً ابتدأ في (٢٨ من رمضان ٩٢ هـ= ١٨ مـن يوليو ٧١١م) وظل مشـتعلاً ثمانية أيام، أبلى المسـلمون خلالها بلاء حسـناً، وثبتـوا في أرض المعركة كالجبال الراسـيات، ولم ترهبهم القوى النصـرانية، ولا حشـودهم الضـخمة، واستعاضـوا عن قلة عددهمـ إذا مـا قورنـوا بضـخامة جيش عدوهم - بحسـن الإعـداد والتنظيـم، وبراعة الخطـط والتنفيذ، وبشجاعة الأفئدة والقلوب، وبقوة الإيمان واليقين، والرغبة في الموت والشهادة.

---

١ - أحمد تمام، حدث في مثل هذا اليوم « معارك وغزوات »، إسلام أون لاين.

نجح المسلمون في الصمود والثبات ثمانية أيام عصيبة، حتى مالت كفة النصر إلى صالحهم، وتحول جيش **لذريق** العرمرم إلى غثاء كغثاء السيل، لا خير فيه ولا غناء، فقد كان على ضخامته متفرق الكلمة موزع الأهواء، تمزق صفوفه الخيانة؛ ولذلك لم يكن عجيباً أن يحقق المسلمون النصر على ضآلة عددهم؛ لأنهم التمسوا أسباب النصر وعوامل الفوز، فتحقق لهم في اليوم الثامن بعد جهاد شاق، وفر لذريق آخر ملوك القوط عقب الموقعة، ولم يُعثر له على أثر، ويبدو أنه فقد حياته في المعركة التي فقد فيها ملكه، أو مات غريقاً في أحد الأنهار عند فراره [١].

⚔ معركة وادي لكة : حدثت في مواضع متنوعة حسب أيام القتال فيها

١ - أحمد تمام، حدث في مثل هذا اليوم « معارك وغزوات »، إسلام أون لاين.

تذكر بعض الروايات أن طارقاً واصل سيره حتى أشرف على **ثغر خيخون** الواقع على **خليج بسكونية**، ولما عاد إلى **طليطلة** تلقى أوامر من موسى بن نصير بوقف الفتح حتى يأتي إليه بقوات كبيرة ليكمل معه الفتح.

مرتسم لمرحلة عبور المسلمين إلى الأندلس في كتاب مخطوط من العصور الوسطى

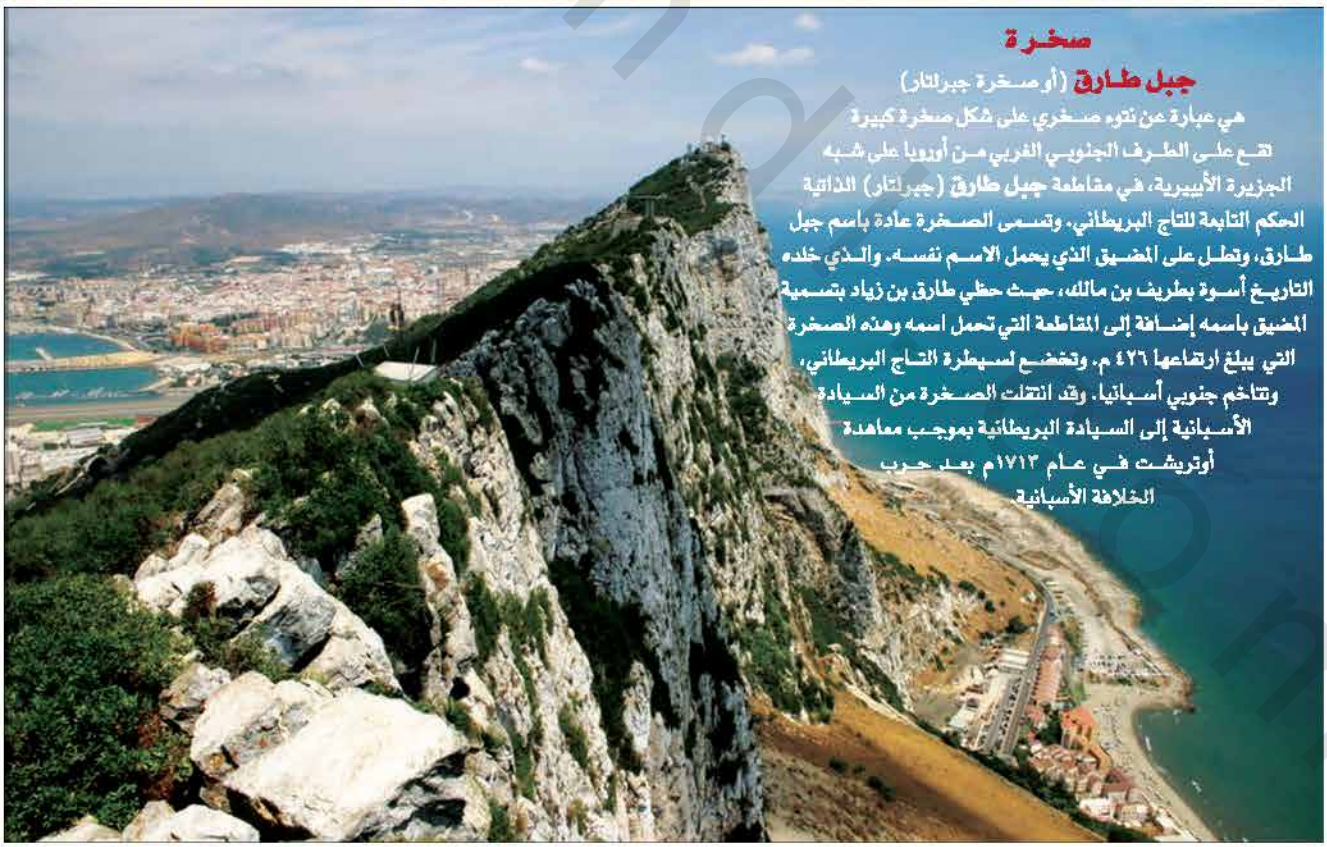

صخرة جبل طارق (أو صخرة جبرلتار)

هي عبارة عن نتوء صخري على شكل صخرة كبيرة تقع على الطرف الجنوبي الغربي من أوروبا على شبه الجزيرة الأيبيرية، في مقاطعة جبل طارق (جبرلتار) الذاتية الحكم التابعة للتاج البريطاني. وتسمى الصخرة عادة باسم جبل طارق، وتطل على المضيق الذي يحمل الاسم نفسه. والذي خلده التاريخ أسوة بطريف بن مالك، حيث حظي طارق بن زياد بتسمية المضيق باسمه إضافة إلى المقاطعة التي تحمل اسمه وهذه الصخرة التي يبلغ ارتفاعها ٤٢٦ م. وتخضع لسيطرة التاج البريطاني، وتتاخم جنوبي أسبانيا. وقد انتقلت الصخرة من السيادة الأسبانية إلى السيادة البريطانية بموجب معاهدة أوتريشت في عام ١٧١٣م بعد حرب الخلافة الأسبانية.

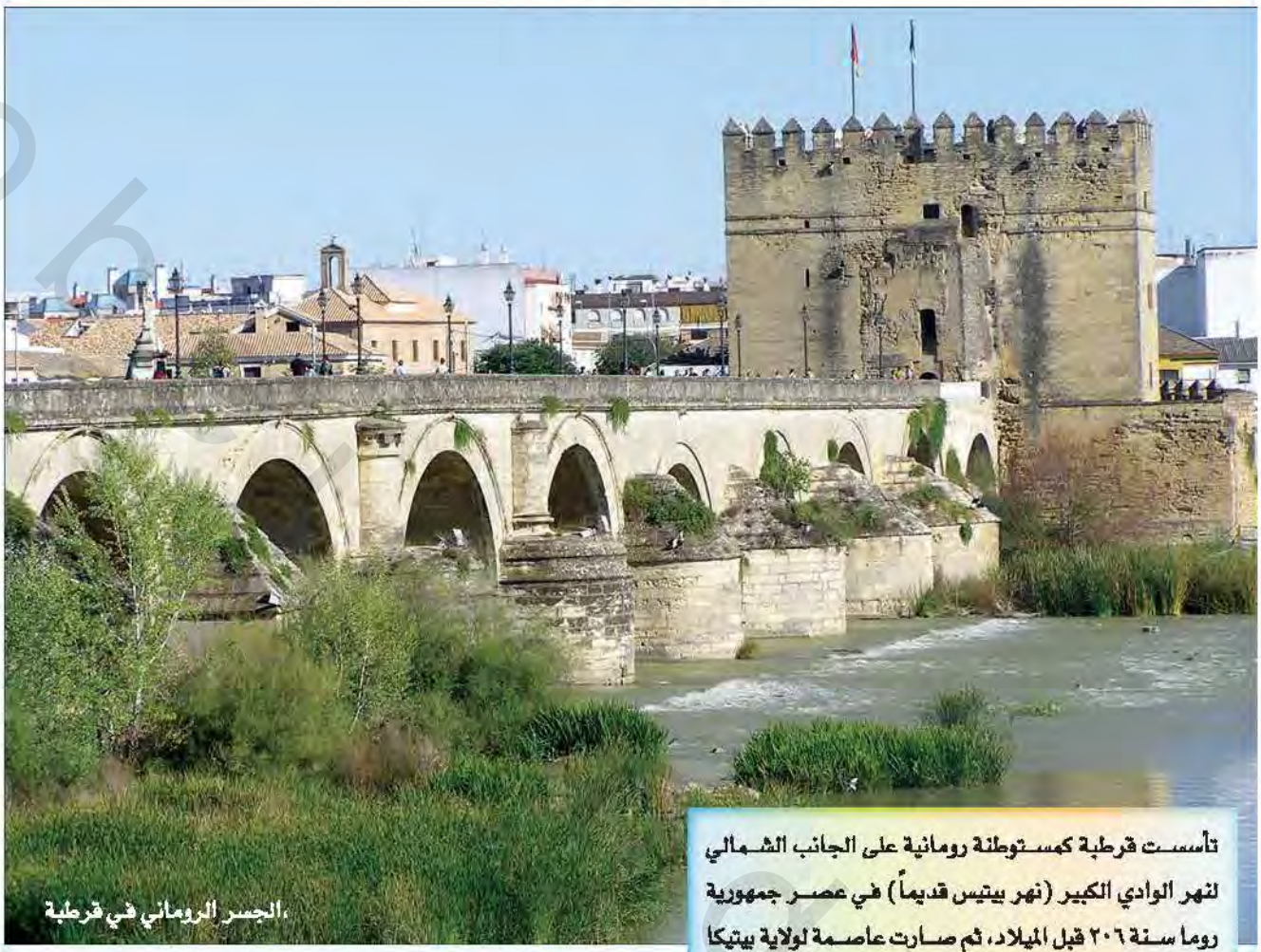

الجسر الروماني في قرطبة.

تأسست قرطبة كمستوطنة رومانية على الجانب الشمالي لنهر الوادي الكبير (نهر بيتيس قديماً) في عصر جمهورية روما سنة ٢٠٦ قبل الميلاد، ثم صارت عاصمة لولاية بيتيكا (جنوب أسبانيا) ضمن الإمبراطورية الرومانية. وقد ظلت **قرطبة** مدينة رومانية لمدة تزيد عن سبعة قرون، ولذلك ما زالت في قرطبة آثار من الحكم الروماني، **أبرزها الجسر الروماني ("بوينتي رومانو")** الذي يقطع الوادي الكبير، وأطلال معبد روماني، بالإضافة إلى ضريح روماني مكتشف حديثاً. وظهر في قرطبة في تلك الفترة الفيلسوف سينيكا.

بُعيد سقوط الدولة الرومانية على يد الغزوات المتتابعة من قبل القبائل الجرمانية ("البرابرة")، انحدرت على شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال حالياً) بعض هذه القبائل كالوندال والآلان، وتبعهم القوط الغربيون الذين كان أمر الجزيرة بأكملها، بما فيها قرطبة، قد آل إليهم **وقت وصول المسلمين في القرن الثامن الميلادي (الأول الهجري)**، بعد صراع مع الروم البيزنطيين.

كان **مغيث الرومي**، مولى الوليد بن عبد الملك يسير هو الآخر مع قوات جيش طارق بن زياد، ونزل بجيشه الإسلامي نحو الوادي الكبير **قرب قرطبة**، ونزل على الضفة اليسرى من النهر ورابط هناك بعض الوقت يستطلع أخبار **قرطبة** القريبة؛ فعلم أن معظم كبرائها، وأغنيائها قد غادروها، وترامى اليه أن سور المدينة القديم ضعيف البناء، وأن فيه ثغرة فوق باب القنطرة.

وفي ليلة مطيرة تسلق رجال من جيشه الحائط عند الثغرة ودخلوا المدينة بعد فتح الباب. تراجع المدافعون إلى كنيسة في القسم الغربي من مدينتهم، وكان عددهم لا يتجاوز الأربعمئة مقاتل، حيث ظلوا محاصرين مدة ثلاثة أشهر وانتهى الأمر بهم إلى قتل قائدهم، وأسرهم جميعاً. وبذلك تم للمسلمين **فتح قرطبة**. وقتل ملكها لذريق (رودريك).

وقد جعل الأمويون الأندلس ولاية تابعة لولاية المغرب، حتى جعل عمر بن عبد العزيز ولاية الأندلس تابعة للعاصمة الأموية في دمشق بشكل مباشر. وجعل الأمويون قرطبة مقراً لولاتهم على الأندلس فظلت كذلك حتى سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسيين عام ١٣٢ هـ.

كانت **غرناطة** تدعى (**إلبيرة**) حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. بيد أن تسمية غرناطة تأتي من أيام الحكم الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون في العهد الأموي عام ٩٢ هـ وأسسوا قلعة غرناطة. من أهم معالم المدينة قصر الحمراء.

غرناطة (بالإسبانية: Granada) عاصمة مقاطعة غرناطة في منطقة الأندلس ذات الحكم الذاتي جنوبي إسبانيا.

العبور الثاني إلى الأندلـــــس بقيادة موسى بن نصير سنة ٩٣ هـ

كان **موسى بن نصير** يتابع سير الجيش الإسلامي بقيادة **طارق بن زياد** في الأندلس، حتى إذا أدرك أنه في حاجة إلى مدد بعد أن استشهد منه في المعارك ما يقرب من نصف الجيش، ألزم طارقاً بالتوقف؛ حرصاً على المسلمين من مغبة التوغل في أراض مجهولة، وحتى لا يكون بعيداً عن مراكز الإمداد في المغرب، ثم عبر **موسى بن نصير** في عشرة آلاف من العرب وثمانية آلاف من البربر إلى **الجزيرة الخضراء** في (رمضان ٩٣هـ= يونيه ٧١٢م)، وشيّد بها مسجداً وانتظر هناك حتى تمّ عبور سائر الجند واطمأنّ على سلامتهم وحسن ترتيبهم، **وسار بجنوده في غير الطريق الذي سلكه طارق**، ليكون له شرف فتح بلاد جديدة، فاستولى على **شذونة**، ثم اتجه إلى **قرمونة** وهي يومئذ من أمنع معاقل الأندلس ففتحها، ثم قصد **إشبيلية** وهي أعظم مدائن الأندلس شأناً، وأعجبها بنياناً، وأكثرها آثاراً، وكانت عاصمة للأندلس، قبل أن يغلب القوط عليها، فحاصرها، لكنها استعصت على المسلمين أشهراً، ثم هرب العلوج عنها، وفتحها الله للمسلمين، فدخلوها، ووجدوا فيها يهوداً، قد اضطهدهم النصارى القوط، وفرضوا عليهم التنصر، والعبودية لهم، وأسكنوهم خارج الأسوار، فرفعوا عنهم الظلم، وأسكنوهم داخل قصبة المدينة، وسمحوا لهم بحرية العبادة، وكافة الحقوق التي قررها الإسلام لأهل الذمة، ثم واصل جيش موسى زحفه، ففتح **لبلة** و **لبلة** و**باجة**، ثم وصل إلى **ماردة**، فوجدها " مدينة حصينة لها سور، لم يُبْنَ للناس مثله"، وقد تجمع فيها فلول القوط، حتى صار لهم فيها جيش قوي فحاصرها، لكن قواتها خرجت تحارب من خلف الأسوار المنيعة، فنالوا من المسلمين وآذوهم، ثم تجاسروا، وصاروا يفتحون باب المدينة، ويهاجمون المسلمين ثم يعودون إلى مدينتهم، بعد أن يوصدوا بابها، فلجأ موسى إلى حيلة للإيقاع بهم، حيث أمر مجموعة من فرسان المسلمين بالاختباء في نقب صخري قريب من السور، وعندما خرج جنود القوط ليقاتلوا المسلمين كعادتهم، فوجئوا بفرسان المسلمين في ظهورهم، فسقط منهم عدد كبير من القتلى، وتحصن القوط داخل أسوار المدينة ولم يخرجوا، **فصنع المسلمون دبابة من الحديد**، تحمي من بداخلها من سهام العدو، ويستعان بها في فتح ثغرة في سور المدينة، وبينما كان المسلمون منهمكين في نقب السور، خرج مجموعة من فرسان القوط من الباب وباغتوهم، فاستشهد من في الدبابة، فسمّي ذلك البرج **برج الشهداء**، وظل يحمل هذا الاسم إلى زمن سقوط الأندلس، واستمر الحصار إلى آخر رمضان من عام ٩٤هـ، **وانتهى بفتح المدينة صلحاً**، واتجه بعد ذلك إلى **طلبيرة** ثم مدينة **طليطلة** حيث التقى بطارق بن زياد في سنة (٩٤هـ= ٧١٣م).

أراد القائد موسى بن نصير باعتباره القائد الأعلى للجيش الإسلامي في بلاد المغرب وأسبانيا أن يوقف زحف طارق السريع والذي قد أفزعه بعد معركة وادي بكة، وتعريضه خطوط مواصلات المسلمين لخطر محقّق؛ بسبب تركه الكثير من المعاقل والمدن الهامة جرياً وراء مطاردة القوط، ولذلك بادر موسى برسم خطة للسيطرة أولاً على المراكز الحربية وغيرها في المدن التي كانت تهدّد خطوط مواصلات المسلمين، وليدعم فتوح المسلمين قبل الذهاب إلى طارق في طليطلة.

جبل موسى من على قمة جبل طارق المقابل له

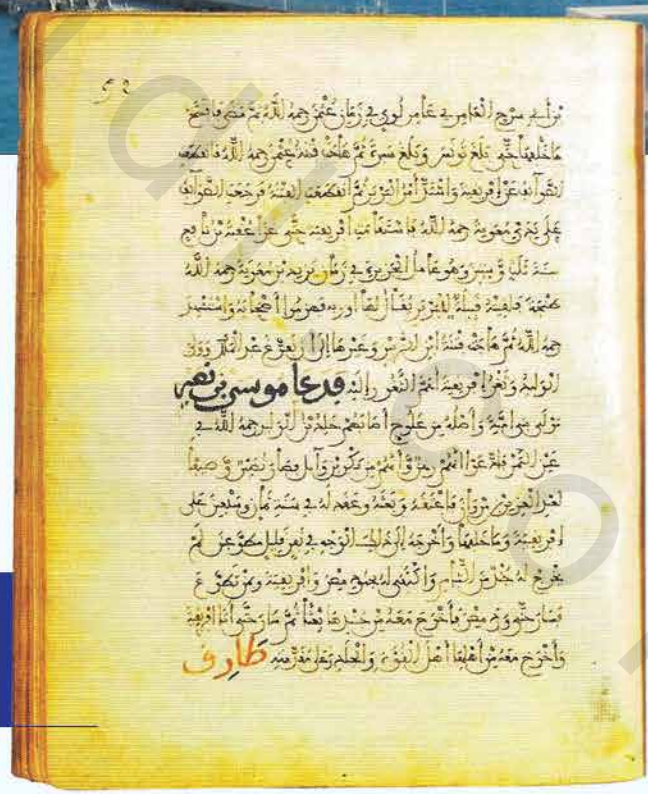

جبل موسى هو الاسم الذي يطلق على جبل يقع في الجزء الشمالي من المغرب على الجانب الإفريقي لمضيق جبل طارق. مقابلاً لصخرة جبل طارق في الشمال. وعلو جبل موسى يبلغ ٨٥١ م (٢،٧٩٠ قدم).

قصة فتح الأندلس ودور موسى بن نصير وطارق ابن زياد موثق في إحدى المخطوطات الإسلامية .

المدرج الروماني بماردة الأسبانية

كاتدرائية طلبيرة تعود إلى العصور الوسطى

طلبيرة : مدينة أسبانية تقع في مقاطعة طليطلة من منطقة كاستيا لا منتشا على ضفة نهر تاجة (تاجو) وهي أكبر مدن مقاطعة **طليطلة** إذ يبلغ عدد سكانها ٨٣،٧٩٣ نسمة وهو رقم يتخطى عدد سكان طليطلة نفسها، وهي المدينة التي التقى بها موسى مع طارق بعد عبور الأول إليها. ويوجد بها العديد من الآثار القديمة بما فيها الآثار التي تعود إلى العهد الأندلسي .

مواصلة موسى بن نصير وطارق بن زياد فتح الأجزاء الشمالية من الأندلس

بعد أن استراح القائدان **موسى بن نصير** و**طارق بن زياد** قليلاً في **طليطلة** **عاودا الفتح مرة ثانية**، وزحفا نحو الشمال الشرقي، وتقدّم موسى بقواته نحو مدينة قشتاله؛ لأنها تعد المركز المباشر الذي يمكن أن يهدّد منه القوط مدينة طليطلة وغيرها من البلاد الإسلامية، ثم إن اقترابها من الجهات الجبلية الوعرة يساعد من يتحصن بها على أن يبقى على المقاومة زمناً طويلاً، ولذا قسّم موسى بن نصير قواته قسمين: عهد بواحد منهما إلى طارق بن زياد وجعل مهمته السير غرباً، على حين قاد هو الشطر الثاني واتجه في البلاد شرقاً.

وقصد طارق بن زياد إلى جبال كنتبرية، وأخضع جماعات البسقاوية غربي نهر الأبرو، ودخل كثير من سكان تلك الجهات في الإسلام على يد طارق بن زياد، وصاروا يكوّنون نواة كثير من الأسر الأندلسية الإسلامية التي قدّر لها أن تمثّل دوراً هاماً في تاريخ البلاد فيما بعد.

وفي الوقت نفسه سار موسى بن نصير على الضفّة الشرقية لنهر إبرو في إقليم **قشتالة**، ورحّب به زعماء البلاد كذلك، ودخلوا في طاعة المسلمين، غير أن نفراً من فلول القوط آثروا الفرار أمام الزحف الإسلامي إلى المناطق الجبلية الساحلية الشمالية، **واعتصموا بمكان اسمه الصخرة**، فطارد موسى تلك الفلول حتى بلغ **خيخون**، وجعل منها حصناً يحمي ما تم على يديه من فتوح في تلك الجهات القاصية، وصارت تلك الجهات أقصى ما وصل إليه المسلمون في منطقة **اشتريس**، حيث بدأ موسى بن نصير يعد العدة للعودة من تلك البلاد النائية.

وتمّ في ذلك الوقت أيضاً إخضاع المنطقة الساحلية بين مالقة وبلنسية، وإخماد الفتن التي حاول القوط القيام بها، وقام بهذه المهمة عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي اشترك مع والده في إكمال الفتوح الإسلامية في إسبانيا.

تذكر بعض الروايات التاريخية أن **الخليفة الوليد بن عبد الملك** أرسل مغيثاً الرومي، يحمل أمراً صارماً بوقف الفتح، وعودة موسى إلى دمشق، **والسبب خوف الخليفة على المسلمين**، إذ نمى إليه خبر يفيد بأن موسى قد عزم على العودة إلى دمشق عبر أوروبا، التي يريد أن يقتحمها، ويصل إلى القسطنطينية، فيفتحها، ويفوز بما جاء في الحديث الصحيح الذي بشر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية، فقال: "**لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير ذلك الأمير، ولنعم الجيش ذلك الجيش**". مسند الإمام احمد ، حاول موسى الذي كان قد بلغ السادسة والسبعين من العمر، أن يقنع مغيثاً بالتريث، إلى أن ينتهي من فتح مكان في أعالي الجبال، لجأ إليه القوط، يسمى "**صخرة بلاي**"، نسبة إلى قائد قوطي يقود فلول القوط هناك، لكن مغيثاً رفض ذلك .

بعد ٧ سنوات من فتح إيبيريا (الأندلس) على يد المسلمين، قام **بيلايو** من **اشتريس** أحد كبار دولة القوط الغربيين التي قامت في شبه الجزيرة الإيبيرية بتأسيس مملكة **اشتريس** في الركن الشمالي الشرقي مما يعرف الآن بأسبانيا وهي مناطق قام المسلمون بغزوها مرات عديدة وانسحبوا منها. لم يكن بيلايو قادراً على دحر قوات المسلمين التي كانت تتوغل في مملكته من فترة لأخرى كما لم يكن باستطاعة المسلمين إزالته من الحكم، لوجود سلسلة من الجبال الوعرة.

فتوحات عبد العزيز بن موسى بن نصير في أرض الأندلس

إحدى القلاع الحصينة في باجة البرتغالية

وأما **باجة الأندلس** : فهي من أقدم مدائنها بنيت في أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين، وهم النازلون بشذونة ... و**مدينة باجة** أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً وإليها انتهى يوليش جاشر، وهو أول من تسمى قيصر وهو سماها باجة، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة ... . عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٧٥ .

obeikandl.com